بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين

في رحاب ذكرى مولد الرسول الأعظم
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

مقدمـة

وإنّك لعلى خلق عظيم

إنه الثناء الفريد على النبي الكريم، إنه ثناء الله جل علاه على نبيه الرؤوف الرحيم بقوله: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾(القلم/4)، ويثبت هذا الثناء العلوي في صميم الوجود.. وهي شهادة من الله في ميزان الله لعبد الله، ومدلول الخلق العظيم هو ما هو عند الله مما لا يبلغ إلى إدراك مداه أحد من العالمين ودلالة هذه الكلمة العظيمة على عظمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تبرز من نواحي شتى:

تبرز من كونها كلمة من الله الكبير المتعال، يسجلها ضمير الكون، وتثبت في كيانه، وتتردد في الملأ الأعلى إلى ما شاء الله. وتبرز من جانب آخر من جانب اطاقة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لتلقيها. وهو يعلم من ربه هذا، قائل هذه الكلمة. إن اطاقة سيدنا محمد الرسول الكريم عليه الصلاة والتسليم، لتلقى هذه الكلمة من هذا المصدر الرباني، وهو ثابت حين يتلقاها من ربه مطمئن، لا تتأرجح شخصيته الزكية تحت وقعها ولا تضطرب، هو ذاته دليل على عظمة شخصيته فوق كل دليل.

ولقد رويت عن عظمة خلقه في السيرة، وعلى لسان أصحابه روايات منوعة كثيرة. وكان واقع سيرته أعظم شهادة من كل ما روي عنه. ولكن هذه الكلمة أعظم بدلالتها من كل شيء آخر، أعظم بصدورها عن العلى الكبير، وأعظم بتلقي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لها وهو يعلم من هو العلي الكبير، وبقائه بعدها ثابتا راسخا مطمئنا، لا يتكبر على العباد ولا ينتفخ ولا يتعاظم وهو الذي سمع ما سمع من العلي الكبير.. وهو الذي يدعو ويلح ويقول: « اللهم أحيني

مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين » مع أنه أوتي مفاتيح الدنيا والآخرة وأعطي ما لم يعط أحد من المرسلين. والله أعلم حيث يجعل رسالاته وما كان إلا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بعظمة نفسه هذه من يحمل هذه الرسالة الأخيرة بكل عظمتها الكونية الكبرى، فيكون كفئا لها كما يكون صورة حية منها.

إن هذه الرسالة من الكمال والجمال، والعظمة والشمول، والصدق والحق، بحيث لا يحملها إلا الرجل الذي يثني عليه الله هذا الثناء، فتطيق شخصيته كذلك هذا الثناء في تماسك وتوازن وطمأنينة. طمأنينة القلب الكبير الذي يسع حقيقة تلك الرسالة وحقيقة هذا الثناء العظيم ثم يتلقى بعد ذلك عتاب ربه له ومؤاخذته إياه على بعض تصرفاته، بذات التماسك وذات التوازن وذات الطمأنينة ويعلن هذه كما يعلن تلك، لا يكتم من هذه شيئا ولا تلك وهو هو في كلتا الحالتين النبي الكريم، والعبد الطائع والمبلغ الأمين.

إن حقيقة هذه النفس من حقيقة هذه الرسالة وإن عظمة هذه النفس من عظمة هذه الرسالة، وإن الحقيقة المحمدية كالحقيقة الإسلامية لأبعد من مدى أي مجهر يملكه بشر وقصارى ما يملكه راصد لعظمة هذه الحقيقة المزدوجة أن يراها ولا يحدد مداها، وأن يشير إلى مسارها الكوني دون أن يحدد هذا المسار.

إنه سيدنا محمد وحده هو الذي يرقى إلى هذا الأفق من العظمة.. إنه سيدنا محمد وحده، هو الذي يبلغ قمة الكمال الإنساني المجانس لنفخة الله في الكيان الإنساني. إنه سيدنا محمد وحده هو الذي يكافئ هذه الرسالة الكونية العالمية الإنسانية، حتى تتمثل في شخصه حية، تمشي على الأرض في أهاب إنسان.. إنه سيدنا محمد وحده الذي علم الله منه أنه أهل لهذا المقام. والله أعلم حيث يجعل رسالاته وأعلن في هذه أنه على خلق عظيم وأعلن في الأخرى أنه جل شأنه وتقدست ذاته وصفاته، يصلي عليه هو وملائكته ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي ﴾ وهو جل شأنه وحده القادر على أن يهب عبدا من عباده ذلك الفضل العظيم.

الشيخ الطاهر بدوي